يـــا كالحي الوجوه
يا من تتحدثون باسم الزمـــان والمكان .
في قبـــور عينكم العميقـــة
يتمـــدد موتـــاي
وتحت سمائكـــم المقدســـة
يقفز أصدقائي المشوهون .
على مشهـــد من الزمان والمكـــان
وعلى مشهد مـــن الامهات الباكيـــات
وبصرخة الجنـــدي الجريـــح .

ملكة الحمام ... اقفز !

واذا انتقلنا بعد ذلك الى رد فعل حرب ١٩٦٧ ومرحلة حرب الاستنزاف على الحركـــة المسرحية في اسرائيل ، فاننا سنصادف اول ما نصادف مسرحية تعتبر من وثائق الادب العبري الساخط ، هي مسرحية « ملكة الحمام » ، للاديب الاسرائيلي الشاب « حانوخ لفين » وقد ظلت هذه المسرحية لفترة بمثابة الملكة غـــير المتوجة للمسرح الاسرائيلي ، الى ان قامت جماعات المتطرفين بشن موجة من الارهاب ضدها مما اضطر السلطـــات الاسرائيلية الى وقف عرضها ، والحكم عليها بالنفي في ادراج مؤلفها . ومؤلف هـــذه المسرحية اعتصر من قلبه في شرايينها كل الحزن السام والدموع السامة التـــي تخثرت في ضمائر اعداء الحرب في اسرائيل دون ان يعرفوا كيف يطلقون صرختهـــم الدامية : « لا ! » ، تحت وطأة العسكرية الاسرائيلية الصاخبـــة . وقد اثارت « ملكة الحمام » التي تعتبر استعراضا مسرحيا وليست مسرحيـــة حسب المقاييس المتعارف عليهـــا في المسرح ، ما لم يثره اي عمل فني في اسرائيل حتى وقت عرضها . لقد هزت الـــرأي العام الاسرائيلي ، وانفجرت اصداؤها في الخارج كذلك ، لانها كانت صرخة انسانيـــة حقيقية تتلهب فيها صرخات الدماء المسفوكة على حـــرب العدوان ، دماء الضحايا من ابناء الشعبين العربي واليهودي ، والحزن والمرارة اللذان تحولا سما طيبا ، كالزهور الحمراء المتوهجة طيبا ، كشفرات الحب والصوت والحرف . وليس أدل على هـــذه الاصداء التي احدثتها في اسرائيل مما قاله موشي ديان وزير الدفاع الاسرائيلي في معرض تعليقه على هذه المسرحية : « لست أعرف ماذا ومن تعبر عنه هذه المسرحية ... ولست استهين بهذا وقد رأيت جزءا كبيرا من الجمهور المتحيز معهـــا ... لقد فكرت اثنـــاء العرض فيما يحدث بالفعل لو انهم اخذوا هذه المسرحية على ما هي عليه ، وعرضوها في المواقع على الجنود . على الجنود المصريين في الطرف الآخر ، في الطرف الغربي من القناة . أي متعة كانت ستصيب الجيش المصري لو عرض عليـــه المسرح « الكامري » الخاص بحكومة اسرائيل ، والذي تساعده الحكومة والبلدية ويحملـــه الجمهور على الاكف ... لست اتصور اي شيء من الممكن ان يكـــون أكثر تشجيعا وهائـــلا للجيش المصري مما يعرضونه ... انهم يبرئون العرب ، اولئك العرب المساكين الذين نذبحهم طوال الوقت أو نتفاخر باننا نذبحهم ... »(١٧) .

ولكن لماذا اختار المؤلف هذا الاسم ولماذا قرن نقده لموجات العنف والموت التي تجتاح المجتمع الاسرائيلي بالحمام ؟ اننا في هذا الصدد نتذكر العالم الكبـــير ارشميدس رجل سيراكوز الذي يحكي عنه التاريخ أنه اكتشف أحد الاختراعات المذهلة عبر التاريخ لدى استحمامه في الحمام . وكذلك نسمع عن الثوري الفرنسي جان بول مارا منظّر الثورة الفرنسية الذي كان يعاني من مرض جلدي ، واعتاد ان يقضي الساعات الطويلـــة في الحمام . وخلال استحمامه في الحمام كان يخرج بأفكار مقالاته وكتاباتـــه . وذات يوم تسللت الى حمامه فتاة تـــدعى شارلوت كورداً ، وقضت على حياته بواسطـــة خنجر